مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(رومية ١٢: ٦–١٤)

يا إخوةُ إذ لنا مواهبُ مختلفةٌ باختلافِ النعمةِ المعطاةِ لنا فمن وُهِبَ النبوَّةَ فليتنبَّأ بحسَبِ النِسبةِ إلى الإيمان* ومَن وُهِبَ الخِدمةَ فليلازِمِ الخِدمةَ والمعلِّمُ التعليمَ* والواعِظُ الوَعظَ والمتصدِّقُ البساطةَ والمدبِّرُ الإجتهادَ والراحِمُ البشاشةَ* ولتكن المحبَّةُ بلا رياءٍ. كونوا ماقِتينَ للشرِّ وملتَصقينَ بالخير* محبّينَ بعضُكم بعضاً حبًّا أخويًّا. مُبادرينَ بعضُكم بعضاً بالإكرام* غيرَ متكاسِلينَ في الإجتهادِ حارّينَ بالروحِ عابدينَ للرب* فرِحينَ في الرجاءِ صابرينَ في الضيقِ مواظِبينَ على الصلاة* مؤاسينَ القدّيسينَ في احتياجاتهم عاكِفينَ على ضيافةِ الغُرباءِ* باركوا الذين يضطهِدونَكم باركوا ولا تلعَنوا.

حول الرسالة

يشكّل الفصلان الثاني عشر والثالث عشر من رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل رومية، اللذان يشكّل النص الذي يُقرأ على مسامعنا اليوم جزءاً منهما، الوصايا العمليّة التي على المؤمن أن يسلك وفقها سلوكاً لائقاً في حياته في هذا العالم. وتشكّل المحبة وصيّةً أساسيّةً من هذه الوصايا «لأنّ من أحبّ غيره فقد أكمل الناموس» (رو ١٣: ٨).

في الكتاب المقدّس تختصر المحبّة كلّ الوصايا، ففي إنجيل متى يختزل الرب يسوع كلّ الناموس والأنبياء بوصيّتين قائمتين على المحبة: «تحبُّ الربَّ إلهكَ من كلِّ قلبكَ ومن كل نفسِك ومن كلِّ فكرك، هذه هي الوصيَّةُ الأولى والعظمى، والثانية مثلها، تحبُّ قريبكَ كنفسِك. بهاتين الوصيَّتين يتعلَّقُ الناموس كلّه والأنبياء» (متى ٢٢: ٣٧–٤٠؛ راجع تث ٦: ٥؛ لا ١٩: ١٨). إذاً كل الوصايا الأخرى تكون عمليًّا متفرّعة من هاتين الوصيّتين المتعلّقتين بالمحبّة. وفي إنجيل يوحنا يعطي الرب يسوع وصيّة المحبّة طابعاً جديداً، موضحاً طبيعتها: «وصيّةً جديدةً أنا أُعطيكم أن تحبُّوا بعضكم بعضاً. كما أحببتكم أنا تحبّون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً. بهذا يعرف الجميع أنّكم تلاميذي إن كان لكم حبٌّ بعضاً لبعض» (يو ١٣: ٣٤–٣٥). فالمحبّة المطلوبة هي التي على مثال محبّة الرب يسوع لنا، إذ بذل نفسه عنا نحن الخطأة.

العدد ٢٠١١/٣٠

الأحد ٢٤ تموز

تذكار القديسة المعظمة

في الشهيدات خريستينة

اللحن الخامس

إنجيل السَحَر السادس

للمحبّة أوجه عدّة، وغالبيّتها لا ترتبط بالموضوع المطلوب الذي حدّده الكتاب المقدّس، فهناك محبّة الذات ومحبّة المال ومحبّة اللذات ومحبّة الأرض وغيرها، إنما وجه واحد من وجوهها مطلوب وهو ما أوصانا به الرب. يطلق الرسول بولس على هذه المحبّة، في المقطع الذي يُتلى على مسامعنا اليوم، صفة المحبّة «بلا رياء» (رو ١٢: ٩). إنّها المحبّة الصادقة الشفافة التي تعكس ما في القلب، لأنّ الرياء يُخفي ما في الداخل ليُظهر صورة مغايرة عن حقيقة الأمر، وبهذا المعنى فإنّ الرياء مرادف للكذب، الذي هو ممقوتٌ لدى الرب. وقد

الإنجيل

(متى ٩: ١–٨)

في ذلك الزمان دخل يسوعُ السفينةَ واجتاز وجاء إلى مدينتِه* فإذا بمُخلَّع مُلقًى على سريرٍ قدَّموهُ إليه* فلمَّا رأى يسوعُ إيمانَهم قال للمخلَّعِ ثِقْ يا بُنيَّ مغفورةٌ لك خطاياك* فقال قومٌ من الكتبةِ في أنفسهم هذا يُجدّفُ* فعلِمَ يسوعُ أفكارهم فقال: لماذا تفكرونَ بالشرّ في قلوبكم* ما الأيسرُ أن يُقالَ مغفورةٌ لك خطاياكَ أم أنْ يُقالَ قُمْ فامشِ* ولكن لكي تعلموا أنَّ ابنَ البشرِ له سلطانٌ على الأرضِ أن يغفِرَ الخطايا. (حينئذٍ قال للمخلَّع* قُمِ احملْ سريرَك واذهبْ إلى بيتك* فقامَ ومضى إلى بيتِه* فلمَّا نظرَ الجموعُ تعجَّبوا ومجَّدوا اللهَ الذي أعطى الناسَ سلطاناً كهذا.

تأمل

ماذا تفعل أيها الإنسان؟ تطلب إلى الله أن يرحمك وأنت تلعن الآخر؟ لا تخدع نفسك. أنت تعلم أنّه إن لم تسامِح فلن تُسامَح، لكنّك لست لا تسامح فقط بل ترجو الله ألاّ يسامح! إن لم يُسامَح ذاك الذي لا يسامِح، كيف سيُسامَح

وصف الربُّ يسوعُ بالمرائي كلَّ من أظهر نفسه على غير حقيقتها أو حاول إخفاء واقع الأمور بإعطائه صورة مغايرة لها، وخاصة الكتبة والفريسيين الذين بفعلهم هذا كانوا يشوّهون وصايا الله: «ويلٌ لكم أيها الكتبةُ والفريسيونَ المُراؤونَ لأنكم تُنقّونَ خارجَ الكأسِ والصَّحفةِ وهما من داخل مملوآنِ اختطافاً ودعارةً... ويلٌ لكم أيها الكتبةُ والفريسيونَ المراؤونَ لأنكم تُشبهونَ قبوراً مُبيَّضةً تظهرُ من خارج جميلةً وهي من داخل مملوءةٌ عِظامَ أمواتٍ وكلَّ نجاسةٍ» (متى ٢٣: ٢٥–٢٧). تجدر الملاحظة أنّ المرائي يصل في أغلب الأحيان إلى تصديق الحالة التي يضع نفسه فيها، فيعيش حالة الكذب هذه ويعامل الآخرين على هذا الأساس.

من هنا جاء تشديد الرسول بولس على أن تكون المحبّة بلا رياء، ولكنّه لا يتوقف عند ذلك بل يشرح متوجباتها (رو ١٢: ٩–١٠). فعلى مَن يحبّ بلا رياء أن يمقت الشرّ، أي أن يرفضه كلّيًّا وأن يبتعد عنه، وأن يلتصق بالخير، ولا يقول الرسول هنا أن يحبّ الخير فقط بل أن يلتصق بالخير، أي أن يكون بمعنى آخر جزءاً منه. ثم يتابع قائلاً: «محبّين بعضكم بعضاً حبًّا أخويًّا، مبادرين بعضكم بعضاً بالإكرام» (رو ١٢: ١٠). ويظهر لنا الرسول هنا أنّ المحبّة التي يقصدها ليس فعلاً سلبيًّا، أي لا يكفي الإنسان المسيحي أن يحبّ من بعيد، بل هي فعلٌ إيجابيّ فيه تواصل مع الآخر وانفتاحٌ نحوه، فالإنسان المحبّ هو الذي يبادر إلى فعل المحبّة، إلى فعل الخير. ويعبّر الرسول بولس عن وجهٍ مِنْ فعل الخير هذا في المقطع نفسه عندما يطلب أن يكون المؤمنون «مؤاسين القديسين في احتياجاتهم، عاكفينَ على ضيافةِ الغرباء» (رو ١٢: ١٣).

المحبّة العمليّة تترافق وحالة داخليّة يكسبها الإنسان عندما يردّ على فعل محبّة الله لنا: «غير متكاسلينَ في الإجتهادِ، حارّينَ بالروحِ، عابدينَ للربِّ، فرحينَ في الرجاءِ، صابرينَ في الضيقِ، مواظِبينَ على الصلاة» (رو ١٢: ١١–١٢). ويستتبع ذلك أفعال محبّة يذكرها الرسول على سبيل المثال لا الحصر: «باركوا الذين يضطهدونكم، باركوا ولا تلعنوا. فَرَحاً مع الفرحينَ وبكاءً مع الباكينَ. مهتمّينَ بعضُكم لبعض اهتماماً واحداً، غير مهتمين بالأمورِ العاليةِ بل منقادينَ إلى المتَّضعينَ. لا تكونوا حُكماءَ عند أنفسكم. لا تجازوا أحداً عن شرٍّ بشرٍّ. مُعتنينَ بأمورٍ حسنةٍ قدَّام جميعِ الناس. إن كانَ ممكناً فحسب طاقتكم سالِموا جميع الناس. لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحبَّاء بل أعطوا مكاناً للغضب، لأنَّه مكتوبٌ لي النَّقمةُ أنا أُجازي يقول الربُّ. فإن جاع عدوّك فأطعمه، وإن عطش فاسقه، لأنَّك إن فعلت هذا تجمع جمرَ نار على رأسه، لا يغلبنَّك الشر بل اغلب الشرَّ بالخير» (رو ١٢: ١٤–٢١).

هذه المحبّة التي يهبنا إيّاها الله ونقبلها تتمكن منّا وتصبح هي الفاعلة فينا، ويعبّر الرسول بولس عن ذلك في رسالته إلى أهل كورنثوس عندما يشخصها ويعطيها صفة الفاعل: «المحبَّةُ تتأنَّى وترفُقُ، المحبَّةُ لا تحسد، المحبَّةُ لا تتفاخر ولا تنتفخ ولا تقبّح ولا تطلُب ما لنفسها ولا تحتدُّ

ذاك الذي يطلب إلى الله ألاّ يسامِح؟ إن كان سيّئاً أن يكون لديك أعداء، فالأسوأ أن تتّهمهم وتلعنهم. أنت عليك أن تعطي جواباً عن وجود أعداء لديك ثم تدينهم؟ كيف سيغفر لك الله عندما تطلب إليه أن يؤذي الآخرين، في الوقت الذي تطلب فيه من أجل خطاياك وأنت بحاجة إلى رحمة كبيرة؟ عندما تصلّي من أجل نفسك وتحرّك نظرك يميناً وشمالاً فإنّك تتثاءب وتفكّر بآلاف الأفكار، لكنّك عندما تصلّي ضدّ أعدائك فإنّك تفعل ذلك بتركيز كبير وفكر واضح. كما ترى، عندما نطلب الشر للآخرين، يعرف الشيطان أنّنا بذلك نوجّه السيف إلى أنفسنا، لذلك لا يشتّت انتباهنا في تلك الساعة، ولا يدفع ذهننا هنا وهناك.

إذاً، إنسَ خطايا الآخرين لكي ينسى الله خطاياك، لأنّك إن قلت: «عاقب عدوّي»، تغلق فمك ويفقد لسانك القدرة على التكلّم إلى الله، أولاً لأنّك أغضبته منذ البداية، وبعد ذلك لأنّك تطلب أموراً تخالف طبيعة الصلاة. بما أنّك تصلّي لكي تطلب مسامحة الخطايا فكيف تتكلّم على العقاب؟ كان يجب أن تفعل العكس، أن تطلب من أجل الآخرين، لكي تستطيع فيما بعد أن تطلب بجرأة من أجل نفسك ولا تظنُّ السوءَ ولا تفرحُ بالإثمِ بل تفرحُ بالحقِّ، وتحتمل كل شيء وتصدّق كلّ شيء وترجو كلّ شيء وتصبر على كلّ شيء، المحبّة لا تسقط أبداً» (١ كور ١٣: ٤-٨).

المعزّي، التريودي والبندكستاري

تكلّمنا في الأعداد السابقة على مجموعة من الكتب الليتورجية وكان آخر ما تحدّثنا عنه «الميناون» الذي يعطي الصلوات المُقامة بعض الخصوصية والتفصيل. اليوم سنتحدّث عن كتبٍ لا يمكننا الاستغناء عنها في صلواتنا اليوميّة في الأيام العادية وفي زمن الصوم الكبير والفترة الفصحيّة. هذه الكتب هي «المعزّي» (Paraklitiki) أو بتسمية أخرى «كتاب الألحان الثمانية» (Octoechos) الذي يُستعمل في الأيام العادية، «التريودي» الذي يُستعمل في زمن الصوم الكبير و«البندكستاري» المختص بالفترة الفصحيّة.

يحتوي «المعزّي» على القطع اليومية المتغيّرة بحسب تغيّر لحن الأسبوع (في كنيستنا نستعمل ثمانية ألحان بحسب الترتيب الذي وضعه القديس يوحنا الدمشقي، ويكون لكلّ أسبوع لحنه على التوالي)، وهو مع كتاب الميناون يعطيان الصلاة شكلها النهائي والمتكامل من حيث عدد القطع التي تُقرأ أو تُرتّل في كلّ خدمة، فمثلاً في صلاة الغروب مساء السبت نأخذ سبع قطع من «المعزّي» وثلاثاً من «الميناون» ليصبح العدد عشر قطع تُتلى مع آخر عشر آيات من مزمور «يا ربّي إليك صرخت».

يُقسم كتاب «المعزّي» بشكلين مترابطين، أولاً بحسب اللحن الأسبوعي، وداخل هذا التقسيم الأول يدخل تقسيم ثانٍ يومي، أي يكون لكلّ يوم من أيام الأسبوع القطع الداخلة في صلواته: الغروب، نصف الليل، السحر، والقداس الإلهي. طريقة التقسيم هذه تساعد مستعمل الكتاب في إيجاد صلواته اليومية بسهولة إذ ما عليه سوى معرفة اللحن ثم البحث عن اليوم الموافق. نذكر ان هناك موضوعاً عاماً يومياً تتمحور حوله الصلوات والقطع التي تتلى: الأحد مخصص للقيامة، الإثنين لرؤساء الملائكة، الثلاثاء للنبي السابق يوحنا المعمدان (ممثلاً كافة الأنبياء)، الأربعاء للصليب المقدّس (في هذا اليوم صار تسليم الرب)، الخميس لرؤساء الكهنة بشخص القديس نيقولاوس، الجمعة للصليب المقدس، السبت لوالدة الإله والشهداء وتذكار الأموات. هذا التقسيم للمواضيع اليومية ينسحب أيضاً على كتابي التريودي والبندكستاري.

«المعزّي»، مثل غيره من الكتب، يحتوي على كنوز لاهوتيّة وموسيقيّة داخل عباراته التي نصَّها كلٌّ من القدّيسَين يوسف ناظم التسابيح ويوحنا الدمشقي بين القرنين السابع والتاسع. ومن الصلوات المميّزة التي يحتوي عليها «المعزي» القوانين «الثالوثيّة» التي تُتلى في صلاة نصف الليل أيّام الآحاد والتي تزخر بالعقائد والتعاليم المتعلّقة بالثالوث القدوس.

أيضاً. إن صلّيت من أجل أقربائك فإنّك ستحقّق كلّ شيء حتى لو لم تقل شيئاً عن خطاياك الصغيرة.

لا يوجد شيء مظلم أكثر من نفس تحقد وتكره، ولا يوجد شيء غير طاهر أكثر من لسان يتكلّم بالسوء ويلعن. أنت إنسان فلا تصبح وحشاً، أُعطيت فماً لا لكي تعضّ بل لكي تعزّي بأقوالك. أمرك الله بأن تسامح، وأنت تطلب إليه أن يُبطل وصيّته؟ ألا تفكّر بأنّ الشيطان يبتهج ويضحك عندما يسمع مثل هذه الصلاة؟ ألا تفكّر، من ناحية أخرى، بأنّ الله خالقك والمحسن إليك ومخلّصك يحزن بذلك؟

تقول: «لكنّني ظُلمت وأنا متمرمر». إذاً، حينئذ صلِّ ضدّ الشيطان الذي يظلمنا أكثر من أيّ فرد آخر، لأنّه هو من يخلق الأعداء والعداوة، وهو عدوّك الكبير والوحيد، الذي لا يمكن أن تتحالف معه أبداً. على العكس، فإنّ قريبك هو أخوك مهما فعل بك، لذلك عليك أن تصلّي من أجل خيره وسعادته وتوبته وخلاصه.

لنهتمّ إذاً يا أحبائي بأن نعيش ونعمل وفقاً لوصايا الرب، لكي تكون صلاتنا مثمرة ونحصل على ملكوت السموات.

القديس يوحنا الذهبي الفم

أمّا كتاب «التريودي» فيدخل في ترتيب الصلوات تدريجاً ابتداءً من أحد الفريسي والعشّار إلى أن يحلّ مكان «المعزّي» كلّيًّا ابتداءً من أول الصوم الكبير المقدّس فنستخدمه حتى السبت العظيم (سبت النور). يحتوي «التريودي» على القطع التي نحتاجها في صلواتنا اليومية خلال الصوم الكبير، إضافةً إلى قراءات العهد القديم التي نقرأها في القداس السابق تقديسه. ومن الصلوات المميّزة التي يحويها هذا الكتاب نجد قانون القديس أندراوس الكريتي المعروف بقانون التوبة والذي بتلاوتنا إيّاه في الأسبوع الأول من الصوم ندخل في جوّ التوبة اللازم لمتابعة الصوم، وعندما نعود لنقرأه في الخميس الخامس من الصوم الكبير نتذكّر أنّ التوبة يجب أن ترافقنا بعد الصوم أيضاً. يستخدم «التريودي» أيضاً التقسيم اليومي إذ نجد الصلوات مرتّبة فيه على حسب أسابيع الصوم الكبير وكلّ أسبوع مقسّم على حسب أيّامه، الأمر الذي يسهّل إيجاد الصلوات التي نحن بحاجة إليها.

أمّا كتاب «البندكستاري» فيكمل مسيرة «التريودي» نحو القيامة، إذ يبدأ العمل به مع انتهاء استعمال «التريودي»، أي من أحد الفصح المجيد ولغاية أحد جميع القديسين (الذي هو الأحد الأول بعد عيد العنصرة)، وهو يحلّ مكانه ومكان «المعزّي» في الصلوات. كما يدلّ اسمه (البنديكستاري أو الخمسيني)، فإنّ هذا الكتاب يُستعمل في الفترة الفصحية الخمسينية. أيضاً، مثل الكتابين السابقين، يستعمل هذا الكتاب التقسيم الأسبوعي واليومي. بعد الانتهاء من استخدام «البنديكستاري» تعود كنيستنا المقدّسة إلى استعمال «المعزّي»، وهكذا دواليك.

إنّ الكتب الثلاثة التي ذكرناها مهمّة جدًّا في ترتيب صلواتنا اليومية على مدار السنة الليتورجية، وقد تعب آباؤنا القديسون في نظم هذه الصلوات كي تكون خبزنا اليومي والجوهري في نموّنا الروحي، إذ عندما لا نأكل طعامنا يوميًّا يتعب جسدنا ويذوي، وهكذا يحدث مع روحنا التي إذا لم نغذّها يومياً تذبل وتذوي وتصبح مسكناً للشرير. لقد خشي الآباء ناظمو التسابيح أن تفتر عزيمتنا، لذلك عملوا على تأمين حاجاتنا من الصلوات اليوميّة المتنوّعة من حيث التعاليم والموسيقى والشكل، فأتى عملهم كاملاً بمؤازرة الروح القدس. فلنستفد من هذه الكتب وسواها في نموّنا الروحي، علّه يخرج من بيننا ناظمو تسابيح جدد يغنون كنيستنا أكثر فأكثر، ولكن للوصول إلى ذلك يجب علينا قراءة ما كتبه آباؤنا والسير على خطاهم. لا نسأمَنَّ من الصلاة والقراءة الروحية لأنّهما يعلّماننا كيفيّة التواصل مع الملكوت السماوي ووارثيه.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb